

براءة الزيدية من الحوثية

■ أ. د. ناصر القفاري
gamea19822@gmail.com
@prof_algefari

يخطئ بعض الناس فيدخل الحوثية السائرين في ركب ملالي الصفوية المجوسية في دائرة فرق الزيدية في اليمن، ولضرورة تصحيح هذا الفهم الخاطئ، وإدراك حقيقة الحوثية، ومعرفة مذهب الزيدية؛ لا بد من التوضيح أن أهل العلم بالفرق والمقالات يعدون الحوثية امتدادًا للجارودية أتباع أبي الجارود زياد بن المنذر الهمداني الأعمى الكوفي، الذي قال عنه أبو حاتم: «كان رافضيًا، يضع الحديث في مثالب أصحاب رسول الله ﷺ، ورضي الله عنهم»[١]. والجارودية ليسوا من الزيدية، لكنهم انتسبوا إلى الزيدية ادعاء أو تلبيسًا وخداعًا، وهم في الحقيقة رافضة، ولذا فإن المفيد (شيخ الروافض في القرن الرابع) اعتبر الجارودية من طائفته، وما عداها من فرق الزيدية فقد أخرجهم من دائرة التشيع بحسب مفهومه لديه، وذلك لأن طائفة الجارودية هي التي تشاركه في أساس مذهبه في الرفض دون بقية فرق الزيدية[٢].

(١) انظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر (٣/٣٨٦).
(٢) انظر: «أوائل المقالات» (ص ٣٩).

وقــد جمعت الحوثية المعاصرة مــع مذهب الجارودية الأخذ بعقيدة الإثنى عشــرية من أصحــاب ولاية الفقيه، فجمعت بــين ضلالتين: بين المذهب الجــارودي، والمذهب الإثنى عشــري، ثم توجت هذا الغلو بعقيــدة ولاية الفقيه الخمينية التي لم تكــن موضع الرضا من طائفة من أعلام الإثنى عشــرية لأنهــا مبنية على خرافــة الغيبة المزعومة لمهديهم الموهوم، ولأنها تتضمن مخاطر جســيمة حيث إن زنادقة القرون البائدة كانوا يمنون أتباعهم بتحقيق أحلامهم الحاقدة وأمانيهم الدموية المتوحشــة على يد مولود اختفى فور ولادته، وهو الآن مختبئ خشية القتل - كما يزعمون -، حاضر فــي الأمصار غائب عن الأبصــار، يرى الناس ولا يرونه، وســيخرج في يوم ما، ويقوم بهدم المســجد الحرام والمســجد النبوي، ونبش قبري أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -، ويبيد العرب، وينتقم من البشرية كلها[١].

ولقد كتب الكسروي (الأستاذ في جامعة طهران ورئيس المحاكم الإيرانية) ســاخرًا من هذه العقيدة المناقضة للعقل فقال: «إذا كان منتظرهم قد اختفى لخوفه على نفسه فلم لم يظهر عندما استولى آل بويه الشيعيون على بغداد وصيروا خلفــاء بني العباس طوع أمرهــم؟ فلمَ لم يظهر عندما قام الشاه إســماعيل الصفوي وأجرى من دماء السنيين أنهارًا؟ فلــم لم يظهر عندما كان كريمخــان الزندي وهو من أكبر سلاطين إيران يضرب على الســكة اسم إمامكم (صاحب الزمان) ويعد نفسه وكيلًا عنه؟ وبعد، فلم لا يظهر اليوم وقد كمل عدد الشيعيين ستين مليونًا وأكثرهم من منتظريه؟»[٢].

وللحديث عن الغيبة والمهدية مقام آخر، ولكن ســنقتصر هنا علــى بيان أن الزيدية ليســوا من الحوثيــة، ولتأصيل الموضوع تأصيــلًا علميًّا منهجيًّا من أجــل تقديم الحقيقة دون تقليــل أو تهويل أقول: إن الزيدية هم أتباع زيد بن علي بن الحســين بن علي بن أبي طالب[٣]، وسموا بالزيدية نسبة إليه[٤]، وقد افترقوا عن الإمامية الرافضة حينما ســئل زيد عــن أبي بكر وعمــر فترضى عنهما فرفضه قوم، فســموا رافضة لرفضهم إياه، وسمي من لم يرفضه من أتباعه زيدية لانتســابهم إليه، وذلك في آخر خـلافة هشــام سنة إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين ومائة[٥]. ومن المعلوم أن الـزيدية المتأخرين «يـوافقون المعتزلة فــي العقـائد»[٦]؛ لأن زيـد بـن علي - كما قيل - تتلمذ في الأصول على واصل بن عطاء[٧].

لكــن هذا موضع نظر؛ فإنه لــم يؤثر عن زيد - رحمه الله - أنه ســلك طريقة المعتزلة، ولذا لم يؤثر عن أوائلهم موافقــة لمذهب المعتزلة، وكان زيد محل ثناء أهل العلم، ولا يوجد من يذمه سوى من يسمون في عصرنا بالشيعة وعند الســابقين بالروافض، وشــيوخ هذه الطائفة يكفرون زيدًا، ويردون روايته، كما نص على ذلك الطوسي[٨].

ومذهــب الزيديــة المعتدلة أو الزيديــة الحقيقية في الصحابــة هو الترضي عنهم كما ينقل ذلــك ابن الوزير[٩] عــن الإمام الكبيــر المنصور بالله[١٠]، إذ قال في الرســالة الإماميــة في الجواب عن المســائل التهامية عن الصحابة رضي اللــه عنهم: «فأما ما ذكــره المتكلم عنا من تضعيف آراء الصحابــة فعذرنا أنهم أشــرف قــدرًا، وأعلى أمرًا، وأرفــع ذكرًا... فهم خير الناس على عهد رســول الله ﷺ وبعده فرضي الله عنهم وجزاهم عن الإســلام خيرًا»، إلى قوله: «فهذا مذهبنا لم نكتم ســواه تقيــة وكيف وموجبها زائل ومن هو دوننا مكانًا وقدوة يســب ويلعن ويذم ويطعن ونحن إلى الله ســبحانه من فعلــه براء، وهذا ما يقضي به

(١) انظر تفصيل ذلك بشواهده في كتابي: «بروتوكولات آيات قم».
(٢) «التشيع والشيعة» (ص ٤٢).
(٣) «الملل والنحل» (١/ ١٥٤)، وانظر: «مقدمة البحر الزخار»(ص ٤٠).
(٤) انظر: «الرسالة الوازعة» يحيى بن حمزة اليمني (ص ٢٨)، وانظر: الأشعري: «مقالات الإسلاميين»: (١/ ١٣٦). وانظر: السمعاني: «الأنساب» (٦/ ٣٦٥)، ابن الأثير: «اللباب» (١/ ٥١٧).
(٥) «منهاج السنة» (١/ ٢١)، وانظر: «الرسالة الوازعة» (ص ١٧- ١٨).
(٦) «العلم الشامخ» المقبل (ص ٣١٩). وقال الرازي في «المحصل» إن مذهبهم في الأصول قريب من مذهب المعتزلة. «المحصل» (ص ٢٤٨). أما الشهرستاني فيقول: أما في الأصول فيرون رأي المعتزلة حذو القذة بالقذة. «الملل والنحل» (١/ ١٦٢). المعتزلة: سموا بذلك لاعتزال واصل بن عطاء وبعض أتباعه مجلس الحسن البصري فقال الحسن: «اعتزل عنا واصل»، فسمي هو وأصحابه معتزلة. وقال البغدادي: إن أهل السنة هم الذين دعوهم معتزلة لاعتزالهم قول الأمة بأسرها في مرتكب الكبيرة من المسلمين وتقريرهم أنه لا مؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين منزلتي الإيمان والكفر، وقيل غير ذلك في سبب تسميتهم. وقيل إن واصل بن عطاء هو الذي وضع أصول مذهب المعتزلة وتابعه عمرو بن عبيد، فلما كان زمن هارون الرشيد صنف لهم أبو الهذيل كتابين، وبين مذهبهم، وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة التي سموها: العدل، والتوحيد، وإنفاذ الوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولبّسوا فيها الحق بالباطل.. انظر في هذا الموضوع: ابن المرتضى «المنية والأمل» (ص ١٥، ١٢٢)، «الفرق بين الفرق» (ص ٢٠)، «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٥٨٨ - ٥٨٩)، زهدي جار الله: «المعتزلة».
(٧) «الملل والنحل» (١/ ١٥٥).
(٨) «الاستبصار» (١/ ٦٦).
(٩) محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن الهادي اليماني المعروف بابن الوزير. ولد تقريبًا سنة ٧٦٥هـ باليمن وتعلم بصنعاء وصعدة ومكة وتوفي بصنعاء سنة ٨٤٠ هـ. ومن مصنفاته: «العواصم من القواصم في الذب عن سنة أبي القاسم»، وغيره. (انظر: الضوء اللامع للسخاوي ٦/ ٢٧٢).
(١٠) عبدالله بن حمزة بن سليمان بن حمزة اليمني (المنصور بالله)، من أئمة الزيدية باليمن، من تصانيفه: «الشافي في أصول الدين» (٤ مجلدات)، توفي سنة ٦١٤هـ. انظر: «الأعلام» (٤/ ٢١٣).

علم آبائنا منا إلى علي - عليه السـلام -»، إلى قوله: «وفي هذه الجهة من يرى محض الولاء بسب الصحابة رضي الله عنهم والبراءة منهم فتبرأ من محمد ﷺ من حيث لا يعلم»[1].

ويقول المقبلي: «إن الزيدية ليسـوا من الرافضة بل ولا من غلاة الشيعة في عرف المتأخرين ولا في عرف السلف. فإنهم الآن مستقر مذهبهم الترضـي على عثمان وطلحة والزبير وعائشـة رضي الله عنها فضلًا عن الشـيخين»[2]. ولذا يرى الشـيخ محمد أبو زهرة أن التقـارب بيننا وبين الزيدية قائم من غير محاولة تقريب[3].

وقد خرج مـن الزيدية أئمة أعـلام كان لهم أثر يذكر وجهد يشـكر، كالإمام الصنعاني، وابن الوزير، والشوكاني، والمقبلي... وغيرهم.

ومن المعروف لدى الباحثين في العلم الشـرعي المعنيين بالدراسات الشرعية الأكاديمية أن مصنفات هؤلاء الأعلام مراجع أساسـية ومصادر أصيلة في الدراسـات الشرعية في الجامعات السـعودية وغيرها، مثل: سبل السلام، ونيل الأوطار، وفتح القدير، وغيرها.

وقد حاول الروافـض التأثير على الزيدية ونجحوا في بعض فتـرات التاريخ، ولذا يذكر الشهرسـتاني: «أن أكثر الزيدية طعنت في الصحابة طعن الإمامية»[4].

وقد حدد المقبلي سبب انحراف طوائف من الزيدية في بعض الأزمنة، وبـين أن ذلك من تأثير الرافضة فقال: «إنه قد سـرى داء الإمامية في الزيدية في هذه الأعصار حتى تظهر جماعة مح[5] مذهـب الإمامية، وهو تكفير الصحابة ومن تولاهم - صانهم الله تعالى -»[6].

وقد تطور الغزو الرافضي للاتجـاه الزيدي حتى تأثر بعضهم بشـيء مـن عقائدهم الغالية، كالنـص والعصمة، فقالـت طوائف من المنتسـبين للزيدية - وليسـوا منهم - بعصمة فاطمة وعلي والحسين[7].

(١) ابن الوزير: «الروض الباسم» (ص ٤٩ - ٥٠).

(٢) المقبلي: «العلم الشامخ» (ص ٣٢٦).

(٣) «الإمام زيد» (ص ٤).

(٤) «الملل والنحل» (١/ ١٥٧).

(٥) المح (بالضم) خالص كل شيء. «القاموس»: مادة مح.

(٦) المقبلي: «العلم الشامخ» (ص ٨٨).

(٧) «البحر الزخار» (ص ٩٦)، وانظر: «العلم الشامخ» (ص ٣٨٦)، وفي كتاب «نصرة مذاهب الزيدية» للصاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥هـ ما يشير إلى أن القول بالعصمة هو مذهب لبعض الزيدية. انظر: «نصرة المذاهب الزيدية» (ص ١٦٤- ١٦٩)، ومعنى هذا أن القول بالعصمة قد استشرى في الزيدية مع امتداد الزمن حتى شمل معظمهم.

ومسـألة «العصمة والنص» هي كالطعن في الصحابة كلها مـن أدواء الإمامية التي استشـرت فـي بعض فرق الزيديـة، والبعض الآخـر يخالفهم في هذا كالسـليمانية والصالحية والبترية الذين يقولون: الإمامة شورى ويجوزون إمامة المفضول مع وجـود الأفضل، كما أن القائلين بالنص والعصمة يخالفون من ينتسبون إليه وهو الإمام زيد الذي لم يقل بالنص[8] كما لم يقل بالعصمة[9].

أما الجارودية أسلاف الحوثية فإنهم من غلاة الروافض بلا خلاف، ذلك أن اعتقادهم يقوم على أن «رسول الله ﷺ نص على علي - رضي الله عنه - بالإشـارة والوصف دون التسـمية والتعيين، وأنه أشـار إليه ووصفه بالصفات التي لا توجـد إلا فيه، وأن الأمة ضلت وكفـرت بصرفها الأمر إلى غيره، وأن رسـول الله ﷺ نص على الحسن والحسين - عليهما السـلام - بمثل نصه على علـي. ثم الإمام بعد هؤلاء الثلاثة ليس بمنصوص عليه ولكن الإمامة شورى بين الأفاضل من ولد الحسـن والحسين ممن شهر منهم سيفه، ودعا إلى سبيل ربه، وباين الظالمين وكان صحيح النسب من هذين البطنين وكان عالما زاهدًا شجاعًا فهو الإمام»[10].

يقول عبدالقاهـر البغدادي عن فـرق الجارودية إنها «اجتمعـت على القـول بـأن أصحـاب الكبـائر من الأمة يكونون مخلدين في النـار، فهم من هذا الوجه كالخوارج»[11].

ولقد بقيت الزيدية أتباع زيد بن علي سـالمة من السير فـي طريق الرافضـة، ولذلك نعتهم الإمـام الملطي بقوله: «وهـذه الفرقة لـم يتبرؤوا ولم يكفروا أحـدًا، وتولوا وهم أصحاب سـمت يظهرون زهـدًا وعبادة وخيـرًا، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر»[12].

ووصف حالهم ابـن حزم ومدى قربهم من الحق بقوله: «أقرب مذاهب الشيعة إلى أهل السنة المنتمون إلى أصحاب الحسـن بن صالح بن حي الهمذاني الفقيـه، القائلون بأن الإمامة في ولد علي رضي الله عنه، والثابت عن الحسن بن صالح - رحمه الله - هو قولنا: إن الإمامة في جميع قريش

(٨) انظر كلام زيد في «الملل والنحل» للشهرستاني في أن عليًا وإن كان الأفضل، إلا أن المصلحة في تولية أبي بكر، فلو كان ثمت نص لم تراع المصلحة تلك. (انظر: الملل والنحل ١/ ١٥٥). وانظر: (الإمام زيد لأبي زهرة ص ١٨٤- ١٨٥).

(٩) انظر: «الإمام زيد» لأبي زهرة (ص ١٨٨).

(١٠) انظر: «مقالات الإسلاميين» (ص ٦٧) ط. ريتر، «الفرق بين الفرق» (ص ٣٠).

(١١) «الفرق بين الفرق» (ص ٣٤).

(١٢) «التنبيه والرد» (ص ٣٤).

وتولي جميع الصحابة رضي الله عنهم، إلا أنه كان يفضل عليًا على جميعهم»[1].

والجارودية أسلاف الحوثية يكفرون الزيدية ويعادونهم، ويستحلون دماءهم وأموالهم، وهم يشاركون الإثنى عشرية في هذا الاعتقاد، كما يشاركونهم في مصادر التلقي، بل سلكوا في عصرنا مسلك الإثنى عشرية حذو القذة بالقذة اعتقادًا ومصدرًا ومنهجًا وسياسة.

ولذا فقد اتفقت مصادر الإثنى عشرية على كفر الزيدية واستحلال دمائهم وأموالهم، فقد جاء في مصادرهم المعتمدة عن عمر بن يزيد قال: سألت أبا عبدالله عن الصدقة على الناصب وعلى الزيدية؟ قال: «لا تصدّق عليهم بشيء، ولا تسقهم من الماء إن استطعت»، وقال لي: «الزيدية هم النُّصّاب»[2].

وفي هذه المصادر أيضًا عن عبدالله بن المغيرة قال: قلت لأبي الحسن - عليه السلام -: «إنّ لي جارين أحدهما ناصب والآخر زيدي، ولا بد من معاشرتهما، فمن أعاشر؟ فقال: هما سيان، من كذب بآية من كتاب الله فقد نبذ الإسلام وراء ظهره، هو المكذّب بجميع القرآن والأنبياء والمرسلين، ثم قال: إن هذا نصب لك، وهذا الزّيدي نصب لنا»[3].

وتصور نصوصهم ما سيفعلونه بالزيدية (أهل اليمن اليوم) إذا تم أمرهم وقامت دولتهم بقيادة الولي الفقيه: تقول نصوصهم: «إذا قام القائم[4] سار إلى الكوفة[5]، فيخرج منها بضعة عشر آلاف أنفس - كذا - يدعون البترية[6] عليهم السلاح، فيقولون له: ارجع من حيث جئت، فلا حاجة لنا في بني فاطمة، فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم»[7].

والزيدية لا يرتضون مسلك الجارودية، ولا يعدونهم من الشيعة، ولهذا قال عبدالقاهر البغدادي: «هؤلاء البترية والسليمانية من الزيدية كلهم يكفرون الجارودية

(١) «الفصل» (٢/١٠٦).

(٢) «رجال الكشي» (ص ١٩٩)، «بحار الأنوار» (٧٢/١٧٩).

(٣) «الكافي» (٨/٢٣٥)، «وسائل الشيعة» (١١/٥٠٠).

(٤) الولي الفقيه ينوب عنه بحكم العقيدة الخمينية الجديدة.

(٥) لأن وجودهم في ذلك الوقت في الكوفة.

(٦) هم الزيدية المعتدلون أصحاب الحسن صالح بن حي، وهي أقرب فرق الزيدية لأهل السنة. (انظر عنهم: مقالات الإسلاميين ١/١٤٤، الملل والنحل ١/١٦١، الخطط ٢/٣٥٢).

(٧) «الإرشاد» (ص ٤١١-٤١٢)، «بحار الأنوار» (٥٢/٣٣٨).

من الزيدية لإقرار الجارودية على تكفير أبي بكر وعمر والجارودية يكفرون السليمانية والبترية لتركهما تكفير أبي بكر وعمر»[8].

وقد تلاشى وجود الجارودية أسلاف الحوثية اليوم، ولم يبق منهم إلا شرذمة قليلون وهم الحوثيون، ولم يكن لهم كيان ولا انتشار، وقد التقيت الشيخ عبدالمجيد الزنداني قبل أكثر من ثلاثين سنة بعد أن ألقى محاضرة في المركز الصيفي بالدمام، وأطلعته على بحثي حول الزيدية، فأثنى على البحث، وقال: إن النتيجة التي توصل إليها البحث لا يتوصل إليها إلا كبار العلماء[9]، ثم سألته عن حال الشيعة في اليمن من حيث التطرف والاعتدال، فقال: إن زيدية اليمن اليوم معتدلون، انتهى كلامه - حفظه الله -.

وكانت سمة الاعتدال هي طابع التشيع في اليمن، حتى عاد الغزو الرافضي إلى بلاد اليمن ففعل بهم كما فعل بأسلافهم، وذلك لما قامت دولة الملالي في إيران، وتبنوا في دستورهم تصدير ثورتهم الرافضية إلى كافة البلدان الإسلامية، وكانت بلاد اليمن أحد مخططاتهم وأهدافهم، ولم يجدوا سوى الحوثية للقيام بهذه المهمة.

وقد حذر العالم اليمني مقبل بن هادي الوادعي من مغبة وخطر هذه الهجمة الصفوية على أهل اليمن ووحدته واستقراره، وعلى شعوب المنطقة، فقال في مقابلة أجرتها معه قديمًا مجلة «المجلة»: «إن التشيع في اليمن قد مات ولكن إيران تريد إحياءه بالمال».

ولم ينتبه لهذا التحذير أهل السنة حتى رأينا آثاره على الحوثيين الذين قلبوا حال اليمن إلى هذا الوضع المأساوي، ذلك أن الرافضة الصفوية ما دخلوا بلدًا إلا جعلوا أمنه خوفًا، ووحدته فرقة، وسلمه حربًا، وتقدمه تخلفًا، وما نراه في سوريا والعراق ولبنان واليمن خير شاهد.

لقد جمعت الحوثية ثلاث عقائد خطيرة:

الأولى: عقيدة الجارودية الرافضية، والثانية: عقيدة الإثنى عشرية، الذين يمثلون الامتداد العقدي والتاريخي للسبئية والصفوية[10]، والثالثة: ولاية الفقيه الخمينية[11].

ومن الضروري أن يعرف عموم أهل اليمن من زيدية

(٨) «الفرق بين الفرق» (ص ٢٤).

(٩) وهو منشور ضمن كتابي «مسألة التقريب بين السنة والشيعة» (١/١٥٩-١٦٩).

(١٠) انظر مقالي: «شيعة اليوم سبئية الأمس» المنشور بمجلة البيان (عدد ٣٣٦).

(١١) انظر مقالي: «ولاية الفقيه الخطر الأكبر المجهول» المنشور بمجلة البيان (عدد٣٣٣).

وســـنة ما يخطط له هؤلاء الحوثيون، والذي يفسره عقيدة «ولاية الفقيه» عندهم، ويترجمه ما يســـمونه «تاريخ ما بعد الظهـــور»، وقد كتبت جملًا من هـــذه المخططات في كتابي «بروتوكولات آيات قم».

وإذا كان أهل مكة أدرى بشعابها، وأهل البيت أدرى بما فيه فلنســـتمع إلى شهادة عالم اليمن الشـــهير الإمام الشوكاني في حقيقة هؤلاء الذيـــن كان ينعتهم بالرافضة وقد خبرهم وعاش بينهم وشـــاهد أحوالهم، يقول: «لا أمانة لرافضي قط على من يخالفه في مذهبه ويدين بغير الرفض، بل يســـتحل ماله ودمه عند أدنى فرصة تلوح له؛ لأنـــه عنده مباح الدم والمال، وكل ما يظهره من المودة فهو تقية يذهب أثره بمجرد إمكان الفرصة»[1].

وبيّن حقيقـــة ذلك بالتجربة العملية مـــع هذه الطائفة فقـــال: «وقد جربنا هـــذا تجريبيًّا كثيرًا فلـــم نجد رافضيًّا يخلـــص المودة لغير رافضي، وإن آثره بجميع ما يملكه، وكان له بمنزلة الخوَل، وتودد إليه بكل ممكن، ولم نجد في مذهب مـــن المذاهب المبتدعة ولا غيرها ما نجـــده عند هؤلاء من العداوة لمن خالفهم، ثم لم نجد عند أحد ما نجد عندهم من التجري على شتم الأعراض المحترمة، فإنه يلعن أقبح اللعن، ويســـب أفظع السب كل من تجري بينه وبينه أدنى خصومة وأحقر جدال، وأقل اختلاف، ولعل ســـبب هذا – والله أعلم – أنهم لما تجرّؤوا على سب السلف الصالح هان عليهم سب من عداهم، ولا جرم، فكل شديد ذنب يهوِّن ما دونه»[2].

وقد أشار الشوكاني – رحمه الله – إلى أنهم لا يتورعون عن اقتراف أي جريمة في المجتمع الإســـلامي، ولا يتنزهون عـــن فعل أي محرم، فقال: «وقد جربنا وجرب من قبلنا فلم يجدوا رجلًا رافضيًّا يتنزه عن محرمات الدين كائنًا من كان، ولا تغتـــرَّ بالظواهر؛ فإن الرجل قد يترك المعصية في الملأ، ويكون أعف الناس عنها في الظاهر، وهو إذا أمكنته فرصة انتهزها انتهاز من لا يخاف نارًا ولا يرجو جنة».

ثم استشـــهد على ذلك ببعض مشـــاهداته الشخصية، فقـــال: «وقد رأيت منهم من كان مؤذنـــًا ملازمًا للجماعات فانكشـــف ســـارقًا، وآخر كان يؤم الناس في بعض مساجد صنعاء، وله سمت حســـن وهدي عجيب وملازمة للطاعة، وكنت أكثر التعجب منه كيف يكون مثله رافضيًّا، ثم ســـمعت بعد ذلـــك عنه بأمور تقشـــعر لها الجلـــود، وترجف منها القلوب»، ثم ذكر رجلًا ثالثًا كان به رفض يسير، ثم تطور به الرفض حتى ألف في مثالب جماعة من الصحابة.

قال الشوكاني: «وكنت أعرف عنه في مبادئ أمره صلابة وعفـــة، فقلت: إذا كان ولا بد مـــن رافضي عفيف فهذا، ثم سمعت عنه بفواقر، نسأل الله الستر والسلامة»[3].

ثـــم قال – رحمه الله –: «وأمـــا وثوب هذه الطائفة على أموال اليتامى والمستضعفين ومن يقدرون على ظلمه كائنًا من كان فلا يحتاج إلى برهان، بل يكفي مدعيه إحالة منكره على الاستقراء والتتبع فإنه سيظفر عند ذلك بصحة ما ذكرناه»[4].

هذه «مشاهدات» مهمة ســـجلها الشوكاني، وبيّن كيف يفعـــل «الرفض» بأهله وأثر ذلك في علاقته مع غيره، وهي رؤية خبير وعالم كبير بعد دراســـة ونظر وتجربة طويلة مع مختلف طبقـــات الرافضة؛ لأنه يقيم مع هـــذه «الفئة» من الرافضـــة في اليمـــن التي خرجت من نطـــاق الزيدية إلى الرفض.

ومـــن نصوصهم التي تؤيد شـــهادة الإمام الشـــوكاني ما جـــاء في مصادرهم أن إمامهم ســـئل: ما تقول في قتل الناصب؟[5] قال: «حلال الدم، ولكني أتقي عليك، فإن قدرت أن تقلـــب عليـــه حائطًا أو تغرقه في ماء لكي لا يشـــهد به عليك فافعل»[6].

وقالوا: «فأما الناصب فلا يرقنَّ قلبك عليه، لا تطعمه، ولا تسقه وإن مات جوعًا أو عطشًا، ولا تغثه، وإن كان غرقًا فاســـتغاث فغَطِّسْه ولا تغثه، فإن أبي – نِعْمَ المحمدي – كان يقول: من أشـــبع ناصبًا ملأ الله جوفه نـــارًا يوم القيامة، معذبًا كان أو مغفورًا له»[7].

ويقولون: «أشـــفق إن قتلته ظاهرًا أن تســـأل لم قتلتَه؟ ولا تجد الســـبيل إلى تثبيت حجة، ولا يمكنك إدلاء الحجة، فتدفع ذلك عن نفســـك، فيسفك دم مؤمن من أوليائنا بدم كافر، عليكم بالاغتيال»[8].

(١) «أدب الطلب» (ص٧٠-٧١).
(٢) «أدب الطلب» (ص٧١).
(٣) «أدب الطلب» (ص ٧٣).
(٤) «أدب الطلب» (ص ٧٤).
(٥) ومن المعلوم أن الزيدية عندهم من النواصب كما سبق.
(٦) «علل الشرائع» لابن بابويه (ص٢٠٠)، «وسائل الشيعة» (٤٦٣/١٨)، «بحار الأنوار» (٢٣١/٢٧).
(٧) «مستدرك الوسائل» (٢٣٧/١٦)، «بحار الأنوار» (٧١/٩٣).
(٨) «رجال الكشي» (ص ٥٢٩)، «خاتمة المستدرك» للميرزا النوري (١٤٢/٤).